

المحاضرة الخامسة

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

إن أُضيف المنادى إلى ياء المتكلم وكان صحيحاً جاز فيه خمسة أوجه:

الأول: حذف الياء والاستغناء بالكسرة، نحو: يا عبد وهو الأكثر، ومنه قوله تعالى: ﴿يا عبادِ فاتقون﴾ - الزمر: 16. عباد: منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف إتباعاً لقراءة الوصل، والياء المحذوفة مضافةً إليه. فاتقون: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو: فاعل، والنون للوقاية، والياء: مفعول به.

الثاني: إثبات الياء ساكنة، نحو: يا عبدي، وهو دون الأول في الكثرة.

الثالث: قلب الياء ألفاً وحذفها والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: يا عبد.

الرابع: قلبها ألفاً وإبقاؤها وقلب الكسرة فتحة، نحو: يا عبداً، ومنه قوله تعالى: ﴿يا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ - الزمر: 56. حسرتي: منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل الألف المنقلبة عن الياء، وهو مضاف والياء مضاف إليه.

الخامس: إثبات الياء محركة بالفتح، نحو: يا عبدي، ومنه قوله تعالى: ﴿يا عبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ - الزمر: 53. عبادي: منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل الياء، والياء مضاف إليه.

سؤال تطبيقي: المنادى في الأوجه الخمسة جميعاً منصوب، لماذا؟

الجواب: لأنه مضاف إلى ياء المتكلم، وحكم المنادى المضاف معرب منصوب.

ملاحظة 1: أما إذا أُضيف المنادى إلى مضاف إلى ياء المتكلم وجب إثبات الياء إلا في (ابن أمّ) و(ابن عمّ) فتحذف الياء منهما؛ لكثرة الاستعمال، وتكسر الميم أو تفتح، فنقول: يا ابن أمّ أقبل، ويا ابن عمّ لا مفرّ، بفتح الميم وكسرها، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي﴾ - الأعراف: 150. ففي (ابن أمّ) ثلاثة أوجه من الإعراب: الأول: ابن: منادى منصوب، وهو مضاف، وأمّ: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على الياء المحذوفة. وقد يعرب بوجهين آخرين، ولكن فيهم بعد، هما: الثاني: هو أنّ ابن أمّ منادى مبني على فتح الجزأين؛ لأنه تركيب أشبه تركيب خمسة عشر، في محل نصب على النداء. والثالث: منادى مبني على الضم المقدّر على آخره منع من ظهوره حركة البناء الأصلي، وهو فتح الجزأين؛ لأنه تركيب أشبه خمسة عشر في محل نصب. إنّ: حرف نسخ. والقوم: اسمها. استضعفوني: فعل ماضٍ مبني على الضم؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء:

مفعول به، والجملة في محل رفع خبر إن. وقد ورد ثبوت الياء في (ابن أم) في قول أبي زيد الطائي يرثي أخاه:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي أنت خلقتني لدهرٍ شديد (هامش 4)
الشاهد فيه: (يا ابن أمي).

ملاحظة 2: ويقال في النداء أيضاً (يا أبت، يا أمت) بفتح التاء وكسرهما، ولا يجوز إثبات الياء، فلا يقال: يا أبتي، يا أمتي؛ لأن التاء عوض من الياء، ولا يُجمع بين العوض والمعوّض عنه، وقد ورد في الشعر ثبوتها، كقول الشاعر: أيا أبتي لا زلت فينا وإنما لنا أمل في العيش ما دمت عائشاً.

الشاهد فيه: (أيا أبتي)، وهناك أشعار أخرى في هامش (2) يأتي منها في الامتحان. الإعراب: أيا: حرف نداء. أبتي: منادى منصوب، والياء مضاف إليه. لا: حرف نفي. زلت: فعل ماضٍ ناقص والتاء اسم لا زال. فينا: جار ومجرور في محل نصب خبرها. فإنما: الفاء استئنافية، وإن: حرف مشبه بالفعل، وما: كافة. لنا: جار ومجرور خبر مقدم. أمل: مبتد مؤخر. في العيش: جار ومجرور. ما: مصدرية. دمت: فعل ماضٍ ناقص، والتاء أسمها. عائشاً: خبرها منصوب.

أسلوب النداء الناقص: قد يأتي أسلوب النداء ناقصاً، وذلك في صورتين:
الأولى: أن تحذف (يا): يجوز حذف (يا) خاصة، سواء أكان المنادى مفرداً أم مضافاً، كقوله تعالى: ﴿يوسفُ أعرضْ عن هذا- يوسف: 29﴾، ﴿سنفرغُ لكم أيُّها الثقلان -الرحمن: 31﴾، ﴿أن أدوا إليَّ عبادَ الله - الدخان: 18﴾. بتقدير (يا) قبل: يوسف، وأيُّها، وعباد.

ولم يرد في القرآن الكريم حرف نداءٍ غير (يا) ولاسيما مع (رب)؛ ولذلك كثر حذفه مع الدعاء، بل قد تحذف أحياناً (ياء) الإضافة في (رب)؛ لأن أسلوب الدعاء لا يتطلب إلا إيصال المعنى في أقصر عبارة؛ لقرب الخالق من عبده، كما عبّرت الآية الكريمة عندما سألوه أصحابه بقولهم: (هل الله بعيدٌ فنناديه أم قريبٌ فنناجيه)، فنزلت: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعان - البقرة: 186﴾ و﴿ونحنُ أقربُ إليه من حبل الوريد - ق: 16﴾. وهذا ما يسمى بأسلوب الدعاء، وكلُّ دعاء نداء، ولا يجوز العكس؛ وذلك لأن الدعاء من أقل رتبة إلى أعلا رتبة، أما النداء فيختلف من خلال رتب المنادي للمنادى له. ومنه قوله تعالى: ﴿قالَ ربِّ إني وهنَ العظمُ مني- مريم: 4﴾، ﴿وقلْ ربِّ زدني علماً -البقرة: 286﴾، ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا - البقرة: 286﴾.

ولا يجوز حذف حرف النداء مع المندوب، نحو: وازيداه، ولا مع المستغاث به، نحو: يا لزيد؛ لأن القصد إطالة الصوت والحذف ينافيه. ولا يجوز حذف حرف النداء أيضاً مع الضمير، نحو: يا إِيَّاكَ قد كُفِّيتُكَ، لأن في حذفه تفويتاً للدلالة على النداء. الذي ربما يحوله إلى أسلوب تحذير وليس بنداء.

لكن الحذف مع اسم الإشارة قليل، وكذا مع اسم الجنس، حتى أن أكثر النحويين منعه، (وهم البصريون)، ولكن أجازته طائفة منهم، (وهم الكوفيون)، وتبعهم المصنف؛ لورود السماع به، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ - البقرة: 85﴾، والتقدير عندهم: (ثم أنتم يا هؤلاء). وعند غيرهم من النحويين أنه لا نداء في الآية وإنما يعربون قوله تعالى: أنتم: مبتدأ، وهؤلاء: خبر. ويمكن أن نقول: هؤلاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع صفة للمبتدأ «أنتم» والمعنى: أنتم هؤلاء المشاهدون ويجوز نصب «هؤلاء» على المدح أي أعني، وجملة تقتلون خبر. ومنه قول الشاعر:

. ومنه قول الشاعر:

ذا ارعوا فليس بعد اشتعال الر...أس شيباً إلى الصِّبا من سبيل (الشاهد: 305)

الشاهد فيه: (ذا) حيث حذف حرف النداء مع اسم الإشارة، فدل ذلك على أنه وارد لا ممتنع، خلافاً لمن ادعى منعه، ولكنه قليل. ذا: اسم إشارة منادى بحرف النداء المحذوف، مبني على الضم المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة البناء الأصلية، وهي السكون، وهاء التنبيه محذوفة، والتقدير: يا هذا.

ومما ورد منه مع اسم الجنس (واسم الجنس: هو الذي لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه، كرجل وامرأة): (أَصْبَحْ لَيْلُ) أي: يا ليلُ، و(أَطْرُقْ كَرَا) أي: يا كرا، و(افْتَدِ مَخْنُوقُ) أي: يا مَخْنُوق. وإنما جاز نداء اسم الجنس عند الكوفيين لورود السماع به.

ملاحظة: عدَّ النحاة البصريين نداء اسم الإشارة واسم الجنس من الشذوذ؛ لأن اسم الإشارة وإن كان من المعارف، لكنه مبهم يفتقر إلى ما يكمل معناه، وهو الإشارة الحسية باليد، إذا كان المشار إليه حاضراً. أو معنوية إذا كان المشار إليه معنى أو ذاتاً غير حاضرة. وهذا ما يسمى بالشبه المعنوي، أي أنها إنما بنيت؛ لأنها شابهت حرفاً غير موجود كان ينبغي أن يوضع، فلم يوضع، والإشارة معنى من المعاني، فحقها أن يوضع لها حرف يدل عليها، فبنيت أسماء الإشارة لشبهها في المعنى حرفاً مقدراً.

والصورة الثانية: أن يحذف المنادى ويبقى حرف النداء (يا) إن وليها فعل أمر أو دعاء. وفي ذلك خلاف بين النحويين، فهناك من يذهب إلى أن وجود حرف النداء يعني أن دلالة متحققة، وينبغي أن نرد ما حذف من الجملة إلى أصله. بمعنى أن كل حرف نداء يقتضي منادى فإن لم يكن المنادى مذكوراً، أي إن كان محذوفاً وجب تقديره بلفظ مناسب، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْجُدُوا لِلَّهِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ 25، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمُ - النساء: 73﴾، ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ - يس: 26﴾ والتقدير في كل ذلك: يا قوم، ويا الله، ويا قوم أيضاً في الآيتين الأخيرتين. وهناك من لم يرَ منادى محذوفاً، فليس كل كَلَامٍ مصدراً بحرف نداءٍ نداءً، والحق أن (يا) أصلها حرف نداء، فإن لم يكن منادى بعدها كانت لمجرد تنبيه واستثارة السامع إلى ما بعدها، فنقول في إعراب (يا): أنها للنداء فحسب، وما بعده حسب موقعه في الجملة.